البعد الحجاجيّ في أقصوصة "القلعة" لجمال الغيطاني

د. محمّد نجيب العمامي
جامعة – سوسة تونس

تمهيد

يمكن تمييز ثلاثة تصوّرات للحجاج. أوّلها، وهو أقدمها، يضيّق دائرته. فيقصره على بعض أنواع الخطاب ويحصره في عدد محدّد من العمليّات المنطقيّة الموجّهة إلى ملكات المتلقّي الفكريّة. وثانيها يوسّع دائرة الحجاج فيجعله ملازما للّغة. وثالثها يضيّقها نسبيّا. فيعتبر أنّ "الكلام كلّه حجاجيّ ضرورة". ويرتبط، حسب هذا التّصوّر الثّالث، الحجاج بالخطاب أي باللّغة مستخدمة في سياق. وهو ما يعني أنّه قد يرد سافرا أو مباشرا وقد يجيء متخفّيا أو غير مباشر. وورود الحجاج في هذين الشّكلين المختلفين حمل بعض الدّارسين على التّمييز بين المقصد الحجاجيّ (**Visée argumentative**) الصّريح والمباشر والبعد الحجاجيّ (**Dimension argumentative**) المضمر وغير المباشر. ومن بين الخطابات ذات المقصد الحجاجيّ الخطابان الانتخابيّ والإشهاريّ. ومن بين الخطابات التي تحوي بعدا حجاجيّا المحادثة اليوميّة والقصّة التّخييليّة.

والعلاقة بين القصّة التّخييليّة والحجاج موغلة في القدم إلاّ أنّ الأشكال القصصيّة تطوّرت. وصار من خصائصها الفنّيّة التّلميح والإيحاء والغموض وإخفاء المقاصد. بل أصبحت كلّها مكتوبة. وإنّ الحديث عن حجاج محتمل في هذه الأشكال يطرح العديد من الإشكاليات. فما هي الطّرائق التي يَتوسّل بها إلى الحجاج نص قصصي فني هدفه الأساسي الإمتاع ؟ وهل يتأثّر الحجاج بطبيعة النّصّ ؟ وكيف يمكن أن يقوم حجاج بين الكاتب ومتلقّي خطابه دون أن يجمعهما مقام واحد ؟ وإذا سلّمنا بهذه الإمكانيّة فكيف يمكن أن يقوم حجاج بين النّصّ وقرّاء لم يعاصروا نشأته ونشره ولا ينتمون، أحيانا، إلى ثقافة منتجه ؟

اخترنا للإجابة عن هذه التّساؤلات أقصوصة "القلعة" لجمال الغيطاني. وهي تروي قصّة سجين سياسيّ محكوم عليه بثلاثين سنة سجنا قضّى نصفها. فعُرض عليه الإفراج مقابل تحريره طلب عفو. فرفض العرض. وفي هذه الأقصوصة، كما في كلّ سرد تخييليّ حوارات بين الشخصيات وبين الراوي والمروي له وبين الكاتب والقارئ. ولكنّنا سندرس طرائق تجسّد الحجاج في المستويين الأوّلين مكتفين، في غياب جهاز نظريّ ملائم، بملامسة الحجاج الضّمنيّ في المستوى الأخير، مستوى الكاتب والقارئ.

2 -الحجاج في خطاب الشّخصيّات=

الشّخصيّتان الرّئيستان في "القلعة" هما الضّابط الموفد من العاصمة والسّجين. وسنرصد تقنيات الحجاج التي استخدمها الأوّل قصد التّأثير في الثّاني وحمله على قبول الإفراج المشروط.

1 - الصّورة المسبقة (Image préalable) ودورها الحجاجيّ:

يبيّن فحص خطاب الضّابط المنقول في الخطاب المباشر أنّ صورة السّجين حاضرة من خلال ثلاث قرائن تخاطب (Indices d'allocution). هي ضمير المخاطَب المفرد وجملة النّداء: "يا بني" (ص81) أمّا آخرها فخفيّة. وتخصّ المعتقدات والآراء والقيم التي ينسبها الضّابط إلى السّجين صراحة أو ضمنا.

وتسمح هذه القرينة باستخلاص بعض ملامح الصّورة المسبقة التي كوّنها الضّابط عن السّجين قبل أن يلتقي به ويحاوره. فهو، كما يبدو في خطاب الضّابط، سجين مثاليّ السّلوك عانى وطأة السّجن وقسوة السّجان في صبر وكبرياء ومناضل صادق رفض، خلافا لكلّ رفاقه، إفراجا مشروطا. فكان "موقفه مثار احترام عميق حتّى من خصومه" (ص85) ومن الضّابط الذي يشاركه الإيمان بقيمتي الكرامة والتّمسّك بالمبدإ.

ومثل هذا البناء لصورة المحاوَر يشكّل تقنية حجاجيّة. فالضّابط تكيّف مع سامعه. فصاغ صورته على نحو قد يسمح له بتحقيق هدفه. لذلك زوّد السجين بصورة هي مرآة يحلو له أن يتأمّل فيها نفسه.

2 -صورة الذّات ودورها الحجاجيّ:

كان الضّابط وهو يبني صورة السّجين يبني، في الآن نفسه، صورة لذاته يأمل أن تساهم في نجاعة قوله. فتدفع السّجين إلى كتابة "السطرين" (ص89). فقد عمل منذ أوّل لقاء جمعه بالسّجين على إعادة تشكيل الصّورة المسبقة التي يعتقد أنّ مخاطبه يحملها عنه تشكيلا يرجّح أنّه يخدم هدفه من محاورته. فأدّى قبل مصارحته بالشرط دور رجل الأمن الودود والمتفهّم والمتفرّد في سلوكه وأقواله. ولم يقل إنّه صادق. ولم ينسب إلى نفسه صراحة أيّة صفة أخلاقيّة إيجابيّة. ومع ذلك صدّقه السّجين فاستعدّ للخروج. وهو ما يعني أنّ الضّابط بنى صورة لذاته نجحت في تأدية دورها الحجاجيّ. ولم يكن كسب ثقة السّجين غاية في ذاته. وإنّما كان تمهيدا لإعلامه بالإفراج المشروط. ويبدو الضّابط واعيا بأنّه كسب جولة وبأنّ المواجهة الحقيقيّة بينه وبين السّجين تبدأ بالإعلان عن الشّرط. وهذا الوعي اقتضي تنويع تقنيات الحجاج.

3 -تنويع تقنيات الحجاج

يقول الرّاوي: "يبدو ذو الشّارب [الضابط] متهلّلا، يقول إنّ التّحرّك سيتمّ فورا، بدون أيّ تأخير، وأنّه [كذا] سيرجع في نفس السّيّارة معه، يصمت لحظات، ثمّة إجراء عاديّ، خطوة صغيرة، إنّها مجرّد قصاصة صغيرة من الورق بها سطرين [كذا]، عليه اختيار الكلمات المناسبة والصّيغة التي تروق له، مجرّد معنى يطمئن فيه القائمين على الأوضاع." (ص89)

بدأ الضابط بتذكير السجين بما يعرف: "ثمّة إجراء عاديّ". إلاّ أنّه كان يعرف حقّ المعرفة أنّ الإجراء غير عاديّ. فسارع بإعادة حدّه (Redéfinition). فكشف مقصده الحقيقيّ. وسعى، في الآن نفسه، إلى التّخفيف من وقعه على السّجين. وهو ما يدرك من خلال التّهوين "خطوة صغيرة، مجرّد قصاصة صغيرة، سطرين، مجرّد معنى..." وتكرار بعض العبارات "صغيرة، مجرّد" والمعجم "قصاصة". وهو ما يعني أن الأمر لا يتعلّق بوثيقة رسميّة.

وقام طلب تحرير القصاصة على قياس ناقص (Enthymème) لم يُذكر سوى ما يستدلّ به على مقدّمته الصّغرى. فغابت مقدّمته الكبرى. وتُرك للسّجين أمر التّوصّل إلى نتيجته الضّمنيّة. ويمكن استعادة القياس على النّحو التّقريبيّ الآتي:

"الإفراج مرتهن بشرط. وأنت مطالب بالاستجابة للشرّط ليفرج عنك. فعليك إذن تلبية الشّرط إذا أردت الخروج من السّجن". إلاّ أنّ اختزال كلام الضّابط في قياس ناقص يحول دون التّفطّن إلى كامل أبعاد هذا الكلام. فثمّة معان مهمتة (Sous-entendus) لا يأخذها القياس بعين الاعتبار. فالضّابط يترك حرّيّة الاختيار للسّجين. ولكنّه لا يخيّره بين الاستجابة للطّلب ورفضه. وإنّما يحمله على اختيار الطّريقة التي بها يستجيب للشّرط. فهو إذن يقيّده ويلغي اختياره الحرّ. وهو يرهبه ويدفعه، بالتّالي، إلى الاستجابة لما يطلب إليه. وذلك من خلال ما تضمره عبارة "يطمئن القائمين على الأوضاع".

صرّح الضّابط وأضمر. ورغّب طورا وأرهب طورا آخر. وكان كلامه موجّها نحو نتيجة أوكل إلى محاوره شأن استنباطها بنفسه. ولتضمين النّتيجة وتفويض أمر استنتاجها إلى المتلقّي دور حجاجيّ مهمّ عادة. إلاّ أنّ التّضمين لم يؤت أكله مع السّجين.

3 -الإضمار وإعادة بناء صورتي السّامع والذّات.

لمّا كانت هذه النّتيجة من صنف المهمتات سارع الضّابط بإنكار تحمّل مسؤوليتها حال إدراكه أثرها العكسيّ: "يبسط ذو الشارب راحتيه. لا.. لن يدعه يسيء الظّنّ... (ص89 -90).

فالسّجين أوّل، حسب الضّابط، ما سمع تأويلا مخالفا لمقصد صاحبه منه. وهو يتحمّل وحده مسؤوليّة هذا التّأويل الخاطئ. فحاول الضّابط إعادة بناء الثّقة المهدّدة وإثبات حسن نيّته ومقصده السّليم. فبادر ببناء صورة لمحاوره يلذّ له تأملُ نفسه فيها، صورة السّجين الصّامد والخصم العنيد والشّخص الذي تتجسّد فيه قيم الرّجولة. وبنى، في الآن نفسه، صورة لذاته يتوقّع أن يكون لها أثر إيجابيّ في هذا المحاور وأبرز ما يجمع بينه وبين السّجين من قواسم مشتركة أهمّها قيمتا الرّجولة وحقّ الاختلاف وما يرتبط به من احترام للآخر.

4 -إثارة الانفعالات والقياس والإضمار

استغلّ الضّابط معرفته بأخلاق محاوره لإثارة شفقته على من حوله من أعوان السّجن. فهم مبعدون، منفيون، محرومون من الإجازات على امتداد "ستّة أشهر كاملة". ولهم بيوت يحنّون إليها وحياة عائليّة افتقدوها وأسر بها "أولاد" هم في أمسّ

الحاجة إلى حنان الأب ورعايته الضّروريّين لتنشئتهم تنشئة سليمة ولتجنيبهم مخاطر غياب الرّقيب. وهم سجّانون وظيفة. ولكنّهم، في واقع الأمر، مسجونون ينتظرون الرّأفة من سجّانهم، السّجين الرّسميّ. فبيده وحده قرار الإفراج عنهم وإنقاذهم من حياة لا تطاق. (ص91).

ولم يكن هذا الخطاب الموجه إلى الوجدان سوى مقدّمة أفضت إلى حكم كاد يصرّح به الضّابط من خلال سؤاله البلاغيّ "هل هذا عدل.." (ص91). فالضّابط لم يرسم للسجين صورة مشرقة هذه المرّة وإنّما اختار أن يشكّك في وجهه الإيجابيّ عسى الخطّةَ تثمر والهدفَ يتحقّق. إلاّ أنّ موقف السّجين لم يتغيّر. فما هي أسباب فشل الضّابط؟

نعتقد أنّ سببه الرّئيسيّ يعود إلى الطّبيعة الخاصّة للحوار الذي تمّ بينه وبين السّجين. فالحجاج لم يكن يهدف إلى "بناء وفاق وإيجاد حلول للاختلاف في الرّأي" بل كانت غايته جرّ الآخر إلى الموقف المقابل دون التّنازل عن الموقف الخاصّ قيد أنملة. فكان الحوار حوار صمّ، حوارا عقيما. ومع ذلك فالاقتصار على مستوى الشخصيتين المتحاورتين لا يمكن أن يقدّم إلاّ إجابة جزئيّة عن أسباب عقم الحوار بينهما. فاندراج هذا الحوار في حقل الأدب وانتماؤه إلى جنس السرد التخييليّ يحلاّنه في إطار أوسع هو إطار الحوار بين الرّاوي والمرويّ له. ولا شكّ في أنّ رهاناتِ الحوار الثاني ليست رهاناتِ الحوار الأول.

3 - الحجاج في خطاب الراوي

هل لخطاب الراوي بعد حجاجي ؟ وإن كان له فما هي الأطروحة أو الآراء والمواقف التي يدافع عنها ويسعى إلى حمل المروي له على تبنيها؟ وكيف؟

نبادر بالقول إنّ لخطاب الرّاوي بعدا حجاجيّا وأدواته هي:

أ -الامحاء التلفظي:

ومن مظاهره الغياب عن الحكاية وغياب المشيرات (Déictiques) المحيلة إلى مقام التّلفّظ. ومنها أيضا السّرد اللاّحق ووصف السّجن واستخدام المضارع في نقل المشاهد. فالرّاوي لا يخلق أحداثا ولا يختار لها مسارا خاصّا وإنّما هو مجرّد ناقل لما كان حدث. وهو يصف من موقع "شاهد خارجيّ بريء". وكل هذا يكسب خطابه،

في عيني المرويّ له، ثقلا حجاجيّا كبيرا إذ يظهره في مظهر من ينقل حقائق والحقائق حجج لا تردّ.

ب -ذاتية الخطاب والموقف من الشّخصيتين الرّئيستين

يبدو الراوي حريصا على كسب ثقة نظيره وتصديقه له. وهو مقصد يتجلّى من أدوات المحاكاة المستخدمة. فثمّة "واقع" ينبغي أن يصوّر للمرويّ له دون تحريف. ولكنّ الراوي كان ذاتيا حين رسم صورة منفّرة للسّجن. فأكسب الوصف توجيها حجاجيّا سلبيّا. وذلك لأن هذا "الواقع" على درجة من الفظاعة تصبح معها الشّهادة المحايدة ضربا من التّواطؤ مع السّجانين. فالرّاوي "كائن" ينفعل ويرغب في أن يشاركه متلقّي خطابه هذا الانفعال. وبذلك تصبح الذّاتية معبرا إلى التّأثير في وجدان المرويّ له.

والرّاوي لا يخفي تعاطفه مع السّجين ولا نفوره من الضّابط. وصورة السّجين، في خطاب الرّاوي، لا تثير شفقة ولا تستدرّ دموعا بل تهدف إلى إثارة إعجاب المرويّ له وتعاطفه دون استعمال معجم عاطفيّ يعيّن هذه المشاعر. ونكتفي للتّدليل على هذا الموقف بأمرين: أوّلهما أنّ مسار وصف السّجن اتّبع اتّجاه المفرج عنه لا اتّجاه السّجين. فقد تم من الداخل إلى الخارج، من الزنزانة إلى سائر مكونات السجن وموقعه. وثانيهما أنّ الرّاوي فتح أبواب عوالم السّجين الدّاخليّة في وجه المرويّ له. فأتاح له معرفة معاناته وخيباتِه وصموده ونشوته بالانتصار وتهيّبَه المستقبل وفرحته بالحرّيّة والحياة يستردّهما بعد طول فقدان. فارتسمت له صورة ذات معذّبة، مؤمنة، صامدة، شديدة التّأثير. وهي صورة تستمدّ ثقلها الحجاجيّ من كيفيّة تقديمها. فهي لا تندرج في إطار شهادة يدلي بها من ذاق مرارة الحبس وألم تجربة فقد الحرّيّة بغية التّأثير في سامعيه ونيل احترامهم وإعجابهم وكسب تعاطفهم معه واستنكارهم لممارسات سجّانيه. وإنّما هي بوح الذّات للذّات بوحا لا هدف له غير استعراض المسيرة وتقويمها. وهي، إلى ذلك، صورة تحمل على التّصديق بما أنّ مظهر صاحبها يطابق مخبره ومواقفه المعلنة لا تتعارض ومواقفه المضمرة. أمّا الضّابط فلا نعلم شيئا عن عوالمه الدّاخليّة. فليس له شخصيّة مميّزة وإنّما هو مأمور يؤدّي دورا.

لقد تحاورت الشّخصيتان. وعاش السّجين تجربة نقل بعض مراحلها من وجهة نظره الخاصّة. إلاّ أنّ الحوارات ووجهة النّظر لم تكن مقصورة على ذوات التّلفّظ فيها

ولا مقصودة لذاتها. وإنّما كانت جميعها رسالة هي موضوع تواصل أو حوار بين الرّاوي والمرويّ له. وهذا الدّور المزدوج لخطاب الشّخصيات ووجهة نظرها يكسبهما دورا حجاجيّا غير مباشر. فما يبدو تلقائيّا طبيعيّا لا مقصد من ورائه موظّف لمخاطبة وجدان المرويّ له وعقله ومستخدم للتأثير فيه وجرّه إلى تبنّي موقف الرّاوي من السجين.

ت -التّعميم

ويندرج في المقصد نفسه غياب بعض سمات العناصر الحكائيّة. فموقع السّجن غير محدّد بدقّة والضّابط الكبير آت من "المدينة". وأزمنة الأحداث متعدّدة. ولكنّها عامّة فهي "اللّيل" (ص82) و"الفجر" (ص84) و"العصر" (ص86) و"بداية النّهار" (ص87) و"صباح اليوم الحادي والعشرين" (ص88). وهو زمن السّيّارات وجهاز اللاّسلكي والجرائد والسّاعة. أمّا الشّخصيات فهي نكرات يغني وضعها في السّجن أو دورها الاجتماعيّ فيه وخارجه عن الاسم العلم. فلولا صفة الرّجل الآتي من المدينة وشاربه الكثيف وأقواله لبدا شبحا. ولكنّ الصّفة والشّارب والأقوال وإن ميّزته من السّجين فهي لا تميّزه من سائر السّجّانين ولا تكسبه خصائص ذاتيّة يعتدّ بها. أمّا السّجين فيتمتّع بكثافة نفسيّة وبغنى داخليّ قد لا يكفيان لتمييزه من غيره من المحكوم عليهم بمدّة طويلة تماما مثل ملامحه المادّيّة القليلة.

يتجلّى إذن غياب بعض السّمات المهمّة لكلّ هذه العناصر الحكائيّة. ويبدو لنا أنّ الأمر لا يتعلّق بغياب بقدر ما يتعلّق بتغييب يهدف إلى لفت نظر المرويّ له إلى ضرورة تنزيل التّجربة الخاصّة في إطار أوسع يتجاوز البلد الذي دارت فيه الأحداث ويشمل كلّ البلدان التي يعاني فيها الفرد من تسلّط "القائمين على الأوضاع". ورغم أنّ الرّاوي سكت سكوتا دالاّ عن ذنب السّجين الذي استوجب الحكم عليه بثلاثين سنة كاملة فإنّه أوحى بطابع "القضيّة" السّياسيّ وبأنّها قضيّة رأي بما أنّ شرط الإفراج عن "المذنب" إرسالُ برقيّة تأييد.

ث -المحاور الدّلاليّة

قامت الأقصوصة على محورين دلاليّين يتعلّقان بالمكان: الصّحراء والوادي. فالزّنزانة ضيّقة صفراء ومصباحها صفراوي وكابي الضّوء وجدرانها سميكة وأبوابها عديدة وحصينة. والسّجن ضخم وأثريّ وحصن موحش. والمكان الذي أقيم فيه قصيّ

ناء يقع في أقصى صحراء وفي منطقة جدباء تخلو من الخضرة ومن عيون الماء ومسكونة بوحوش نادرة. أمّا المكان الثّاني فهو الوادي. والوادي خضرة وظلال وأطفال صغار ومفارق وجسور و"ذكرى فتاة أحبّها [السّجين] في أوّل العمر" (ص84) وخروج صباحيّ وأغان مبهجة تتردّد مبشّرة بنهار جميل (ص84) و"صوت ليلى مراد اللّؤلؤيّ [كذا] ضوئيّ الرّنين والصّدىّ (ص92).

وهكذا فالصّحراء رديف الموت والوادي معادل الحياة. وما الموت والحياة، في الأقصوصة، سوى السَّجن والحرّيّة. فالرّاوي ينتقي معجمه ويوزّعه على محورين دلاليّين متقابلين. وهو لا يخفي تحيّزه لأحدهما ولا سعيه إلى التّأثير في المرويّ له وحمله على اختيار محور الحياة والحرّيّة. إلاّ أنّ الحجاج المضمر في خطاب الرّاوي لا يستهدف المرويّ له إلاّ بقدر ما هو معبر أو حلقة وصل بين الكاتب والقارئ. ويتبيّن من الأقصوصة أنّ فكّ شفراتها يتطلّب من القارئ كفاءة لغويّة ومعارف موسوعيّة بعضها مشترك وبعضها مختصّ مجاله أدبيّ. فالقارئ مدعوّ إلى ربط الصّلة بين الأقصوصة وسائر ما أُنتج في باب "أدب السّجون" من قبيل روايات "الوشم" لعبد الرّحمان مجيد الرّبيعي و"الكرنك" لنجيب محفوظ و"نجمة أغسطس" لصنع اللّه إبراهيم و"شرق المتوسّط" لعبد الرحمان منيف وغيرها. فيعقد المقارنات ويبحث عن أوجه الشّبه والاختلاف ويستخلص النّتائج.

إلاّ أنّ مثل هذه الكفاءة وتلك المعارف قد لا تتوفّر لكلّ القرّاء ولا في زمان يعقب زمن النّشر بكثير. فهل يعني غيابها أنّ التّواصل بين الكاتب والقرّاء سينقطع؟ وأنّ الأقصوصة ستفقد بعدها الحجاجيّ؟ لا نعتقد ذلك. فالكاتب أقام حجاجه على صراع بين قيم الحرّيّة والإيمان والبطولة وأضدادها. وبناء عليه فسيظلّ للأقصوصة قرّاء يتفاعلون مع مضامينها وأبعادها وقيمها ويتأثّرون بها ما دامت هذه القيم.

خاتمة

يتبيّن من كلّ سبق أنّ الراوي ضمّن سرده أطروحة ودافع عنها. فالمؤسّسة في هذا النصّ وشبيهاتها في اضطهاد الرّأي المخالف لا تحاور ولا تحاجّ. وإنّما تتوسّل بكلّ السّبل إلى إخضاع المعارضين وإذلالهم. ويتبيّن من خطاب الرّاوي أنّه يتوجّه إلى صنفين من المتلقّين: صنف السّجّانين وصنف السّجناء المحتملين. يقول للصنف الأوّل: انظروا بشاعة سلوككم حيال سجين فرد لا تهمة له إلاّ مخالفته القطيع ورعاته وطموحه إلى أن يكون مواطنا. ويُشهد الصنف الثاني على هذه المواجهة غير المتكافئة. وهو يستخدم طرائق شتّى ليؤثّر فيه ويحمله على تبنّي موقفه، موقف السّجين. ولمّا كان المتلقّي اثنين كان لكلّ منهما قلعته. فللصّنف الأوّل قلعة هي بناء من حديد وحجر. وللصّنف الثّاني قلعة أو سجين هو تجسيد لإرادة البشر. وشتّان بين القلعتين أو بين الجماد والبشر في التّأثير في النّفوس وفي الفعل فيها !

وهكذا تبيّن هذه الخصوصيات أنّ الحجاج يتأثّر بالحقل الذي يحويه وبالجنس الذي يتجلّى فيه. ولعلّ ملازمة البعد الحجاجيّ لكلّ خطاب ومظاهر الحجاج الضمنيّ التي رصدناها في الأقصوصة يجعلاننا نميل إلى القول: لعلّ كلّ نصّ قصصيّ يتضمّن أطروحة ولعلّ ما يميّز "رواية الأطروحة" من سائر أنماط الكتابة القصصيّة الحديثة ليس حضور الأطروحة أو غيابها وإنّما هو درجة حضورها.

ملاحق:

1 -**أهمّ المراجع**

Amossy (Ruth), L'argumentation dans le discours (Discours politique, Littérature d'idées, Fiction), Nathan/ Her, Paris, 2000.

2 -الحوار الأخير بين الضّابط والسّجين

-يبدو ذو الشّارب متهلّلا، يقول إنّ التّحرك سيتّم فورا، بدون أيّ تأخير، وأنّه[كذا] سيرجع في نفس السّيّارة معه، يصمت لحظات، ثمّة إجراء عادي، خطوة صغيرة، إنها مجرّد قصاصة صغيرة من الورق بها سطرين [كذا]، عليه اختيار الكلمات المناسبة والصّيغة التي تروق له، مجرّد معنى يطمئن فيه القائمين على الأوضاع.. (ص89)

-إنه ينظر الآن على مهل إلى ذو [كذا] الشارب الكثيف، ينتهي ركضه الطويل عبر الأسابيع الثلاثة، ينتهي القلق والتطلع إلى مساحات السماء البعيدة ينتهي الاستمتاع بالطّعام الساخن الفريد، المقدم في غير مكانه [...]

-"يبسط ذو الشّارب راحتيه. لا.. لن يدعه يسيء الظّنّ، يعرف تماما مدى حساسيته لكتابة أيّ تأييد، أو استنكار لموقف سابق اتّخذه، إنّه ليس بهذه الغفلة، إنّ من يتحدّث إليه ليس رجل أمن، إنّما عقليّة سياسيّة تعرف قدر الرّجال، وتعطيهم حقّهم، المقصود معنى يطمئنهم من ناحيته، له اختيار الألفاظ، والشّكل، إنّه لم يكذب عليه، قرار الإفراج ها هو.. لينظر.. ليمسكه.. لم يعد سرّا.." (ص89 -90)

-إنّه يحوّل عينيه إلى المكتب الرماديّ، إلى بقع الحبر الباهتة. إلى البساط الحائل الموشّى [...] لا يتوقف عند العربة حتى مكان وقوفها اختاروه بعناية..

-تتغيّر نبرات ذو الشارب الكثيف، يمد يديه مستندا إلى المقعد، يقول إنّه سيريح ضميره، ليصغ إليه جيدا، إنّه لا يتحدّث الآن كرجل مسئول [كذا] يحتلّ منصبا حسّاسا، قرار الإفراج.. ليضعه جانبا.. القضيّة.. ليلقها وراء ظهره، ملعون من يحتلّ أعلى المناصب أو أقلّها، إنّ ما يعنيه الآن هذا العمر الذي يراه أمامه، السّنوات التي تذوي. انقضت نصف المدّة على خير، انقضت وها هو يقترب من الخمسين، صحيح أنّ حياته الخاصّة تأثّرت، لكن لا أسف على من لم تقف إلى جانبه.. إنّه يأسف، يأسف حقيقة للخوض في مثل هذه الأمور، ها هو قرار الإفراج.. لكن هذه القصاصة جزء من الإجراءات والإجراءات لا بدّ أن تتمّ ، إذا لم يكتب السّطرين سيقضي بقيّة المدّة، يعني

سيخرج في الخامسة والستّين، سيخرج هرما، كهلا، جفّ فيه رحيق الحياة، وربّما أعيد اعتقاله مدى الحياة بعد انقضاء مدّة الحكم.. هل تساوي هذه الحياة هذه القصاصة.. إنّه يتكلّم الآن كإنسان يعرف قيمة الحرّية.. (ص90)

-يقوم واقفا، لينته هذا الموقف. [...] بعد سنة من سجنه جاؤوا إليه، طلبوا منه إرسال برقية تأييد، لا يذكر الضابط الذي جاءه وقتئذ، قال له إنه لن يرسل أي برقية، إنه سيقضي مدة السجن كلها، لا بد أن يعرفوا أن هناك خصما لهم لا يزال، وإن كان مقيّدا على بعد ألف كيلو من الوادي. عندما جاؤوا إليه قالوا إنّ كلّ زملائه أبرقوا وخرجوا بالفعل، لم يتبقّ إلاّ هو في هذا الحصن الموحش، هزّ رأسه، اتّهموه بالجنون، توعّدوه، هدّدوه، لكنّه لم يصغ إليهم، ليبق بمفرده، لا بدّ أن يعرفوا أنّه.. (ص90 -91)

-يضحك ذو الشّارب، يضحك حتى ليهتزّ جسده..، من هم الذين يجب أن يعرفوا، هل يتصوّر أنّهم يفكّرون فيه، أو يعرفون بوجوده ؟ إنّ مشاغلهم بلا حصر، وليس لديهم ثانية واحدة ليتذكّروه. إنّه ميّت بالنّسبة لهم، لا وجود له، إن هذه القصاصة لن تصل إليهم، لن يقرأوها، إنّها مجرد إجراء، يخفّض صوته، يميل اتجاهه، يعده بأنها ستمزّق ولن يطّلع عليها أيّ مخلوق.. بل يعده بما هو أكثر، سيمزّقها أمام عينيه بمجرد وصولهما إلى العاصمة.. (ص91)

-لا يردّ، يتّجه إلى باب الغرفة [...]

-يسرع ذو الشّارب الكثيف إليه، يمسك ذراعه، يقول إنّه لن يحدّثه من أجل نفسه، إنّما من أجل مئات الرّجال الذين يعيشون هنا لإدارة السّجن الذي لا يوجد به إلاّ هو. كلّ منهم يودّ العودة إلى بيته. إلى أولاده. كلّ منهم يقضي هنا ستّة شهور متّصلة، هل هذا عدل .. إذا كان يدّعي أنّ له الإحساس بالآخرين، وأنه يضحّي من أجل الذين لم يعرفهم ولم يعرفوه، فليضحي [كذا] من أجل هؤلاء.. صحيح أنّهم حرّاسه.. ولكنّهم بشر.. (ص91)

-لم يتوقّف، يتّجه إلى الدّرج معتصما بصمت فادح.. (ص91)

-يقول ذو الشّارب إنّه يعرف مقدار وطنيّته، إن بقاؤه [كذا] هنا يعطّل استلام الجيش للسّجن الذي سيتحوّل إلى موقع هامّ، هل يقبل أن يعيق الجيش عن أداء مهامّه.. لا.. لا يظنّ.. (ص91)

إنّ شجنا غامضا يلفّه الآن، شجن [كذا] يشدّ الأزر ويقوّي العضد، تلفّه ظلال وتدثّره، يضوي في عتمة الذكريات وجه بعيد لم يستعده منذ سنوات، حبّه الأول، كانت تسكن على مقربة منه، بداية العمر، يرى وجهها واضح الملامح [...] (ص91 -92)